مجلة جامعة الملك سعود (الحقوق والعلوم السياسية)، مج (٣٣)، ع (١)، ص ص ١-١١، الرياض (٢٠٢١م/ ١٤٤٢هـ)

نظرية الأمننة والحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م

فيصل مخيط عبدالله أبوصليب

أستاذ مشارك في قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت

مدير مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت

ص ب ٦٨١٦٨ الصفاة الكويت الرمز البريدي ٧١٩٦٢

هاتف: ٢٤٩٨٨٨٧٨ ٩٦٥+/ ٢٤٩٨٨٨١٣ ٩٦٥+

فاكس: ٢٤٨٤٦٣٥١ ٩٦٥+ جوال: ٥٥١٩٩٩١١ ٩٦٥+

drabusulaib@hotmail.com

(قدم للنشر في ١٤/ ١/ ١٤٤٢هـ، وقبل للنشر في ٧/ ٤/ ١٤٤٢هـ)

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى تفسير الحرب الأمريكية على العراق وإسقاط نظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣م، بناءً على نظرية الأمننة في العلاقات الدولية. واعتمد البحث على المنهج التحليلي ومنهج دراسة الحالة في محاولة الإجابة عن تساؤلات الدراسة. وسعى البحث إلى تحديد العناصر الرئيسية لنظرية الأمننة وهي (فاعل الأمننة – فعل الخطاب – الجمهور)، ومحاولة تطبيقها على إدارة جورج دبليو بوش أثناء قيامها بعملية التحضير للحرب على العراق. حيث توصل البحث إلى أن فاعل الأمننة في حالة الحرب الأمريكية على العراق هو (الرئيس جورج دبليو بوش وأعضاء فريقه)، وأن فعل الخطاب الذي قام به هذا الفريق اشتمل على الخطابات والتصريحات التي أدلى بها الفاعلون الرئيسيون في الإدارة الأمريكية؛ وأهمهم الرئيس جورج دبليو بوش، ونائب الرئيس ريتشارد تشيني، ومستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد. وقد اعتمد فعل الخطاب لفريق بوش على مبررات هدفت إلى إقناع الرأي العام الأمريكي بتهديد العراق ونظام صدام حسين للأمن القومي الأمريكي، وأهمها امتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، وعلاقته مع تنظيم القاعدة المسؤول عن أحداث ١١ سبتمبر. بينما يمثل الرأي العام الأمريكي عنصر "الجمهور" في نظرية الأمننة. وتوصل البحث إلى نتيجة رئيسية وهي أن فريق جورج دبليو بوش نجح في "أمننة" العراق ونظام صدام حسين، من خلال قدرته على تحويل قضية العراق ونظام صدام حسين من قضية سياسية إلى قضية تهديد للأمن القومي الأمريكي، ونجاحه في إقناع الرأي العام الأمريكي بمبررات الحرب على العراق وإسقاط نظام صدام حسين.

الكلمات المفتاحية: نظرية الأمننة، العراق، نظام صدام حسين، الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م.

SECURITIZATION THEORY AND THE US WAR ON IRAQ IN 2003

Faisal Mukhyat Abdullah Abu Sulaib
Associate Professor, Department of Political Science, Kuwait University
Director of the Center for the Gulf and the Arabian Peninsula Studies, Kuwait University

(Received 14/01/1442 H., Accepted for Publication 07/04/1442 H.)

Abstract. This study examines the US war against Iraq and the toppling of Saddam Hussein's regime in 2003 based on the securitization theory in international relations. The study relies on the analytical method and the case study approach in attempting to answer the research questions. Mainly, the study aims to apply the three components of securitization theory—securitizing actor, speech act, and audience—to the case of the US war on Iraq in 2003. The study found that the "securitizing actor" regarding the case of the US war on Iraq was the administration of President George W. Bush. Next, the "speech act" comprised the speeches and statements delivered by the key actors of the Bush administration, mainly President George W. Bush, Vice President Richard Cheney, Secretary of Defense Donald Rumsfeld, and National Security Advisor Condoleezza Rice. The speech act of the Bush administration relied on the justifications that aimed to convince the American public of the immense threat of Saddam Hussein's regime in Iraq. The most important justifications were the acquisition of weapons of mass destruction by Saddam's regime and the links between that regime and Al Qaeda which was responsible for the 9/11 attacks. The American public represented the component of "audience" in the securitization theory regarding the case of the US war against Iraq in 2003. Furthermore, the study concludes that the Bush administration succeeded in "securitizing" Iraq and Saddam Hussein's regime by its ability to shift Iraq and the regime from a political case to a security issue that was threatening US national security. Consequently, the Bush administration was able to convince the American public of the immense threat of Saddam's regime in Iraq to the lives of the American people and US national security.

Keywords: Securitization theory, Iraq, Saddam Hussein's regime, US war on Iraq in 2003.

مقدمة

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لنظرية الأمننة في العلاقات الدولية من خلال تطبيقها على دراسة الحالة (الاحتلال الأمريكي للعراق وإسقاط نظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣م). ويهدف البحث في البداية إلى تقديم نظرية الأمننة في العلاقات الدولية، ومن ثم محاولة تطبيق عناصرها الرئيسية الثلاث (فاعل الأمننة securitizing actor)، و(فعل الخطاب speech act)، و(الجمهور audience) على عملية التحضير للحرب التي قادتها إدارة جورج دبليو بوش في مارس ٢٠٠٣م ضد العراق ونتج عنها الاحتلال الأمريكي للعراق وإسقاط نظام صدام حسين.

طبيعة مشكلة البحث

شهد العالم في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م حدثاً جللاً عندما قام مجموعة من الانتحاريين من تنظيم القاعدة باختطاف طائرات مدنية والهجوم على مبنى البنتاغون في واشنطن العاصمة، وتفجير برجي التجارة العالمي في مدينة نيويورك الأمريكية، ما أدى إلى خسائر بشرية ومادية هائلة. وأعلنت حينها إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ما عُرف بـ"الحرب على الإرهاب" The War on Terror، حيث شنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد أفغانستان في عام ٢٠٠١م والتي أدت إلى إسقاط نظام طالبان، الذي كان يستضيف تنظيم القاعدة في الأراضي الأفغانية. حيث اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية بأن أسامة بن لادن هو المسؤول عن هجمات سبتمبر ٢٠٠١م، وطلبت من نظام طالبان تسليمه، وعندما رفض طالبان هذا الطلب قامت الإدارة الأمريكية حينها بشن الحرب على أفغانستان، ورغم مقتل ابن لادن خلال فترة إدارة أوباما، إلا أن القوات الأمريكية لا تزال موجودة في الأراضي الأفغانية حتى اليوم. وبعد شن الحرب على أفغانستان وإسقاط نظام طالبان في عام ٢٠٠١م، ما لبثت إدارة جورج بوش الابن بأن وسعت من دائرة هذه الحرب لتشمل العراق الذي قامت الولايات المتحدة باحتلاله عسكرياً في مارس ٢٠٠٣م ما أدى إلى إسقاط نظام صدام حسين. ويمكن القول بأن الولايات المتحدة استخدمت لتبرير حربها على العراق، المادة ٥١ في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يعطي الحق للدولة في الدفاع عن نفسها إذا تعرضت للاعتداء من جانب قوة مسلحة، واعتمدت على قراري مجلس الأمن ٦٧٨ في نوفمبر ١٩٩٠م و ٦٨٧ في أبريل ١٩٩١م لإرغام العراق على الامتثال لالتزاماته الدولية.

ولا شك بأن السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط قد تعرضت لبعض مظاهر التغير بعد أحداث ١١ سبتمبر، وتعتبر الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م وما نتج عنها من إفرازات أحد أهم العلامات الفارقة في هذا التغير الذي ظهر في المنطقة بعد ١١ سبتمبر.

وبناءً عليه، فإن طبيعة مشكلة البحث تتلخص بشكل رئيس في محاولة تفسير الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م بناءً على نظرية الأمننة في العلاقات الدولية. ويهدف البحث إلى محاولة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ماهي نظرية الأمننة في العلاقات الدولية؟
- كيف يمكن تفسير الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م بناءً على نظرية الأمننة في العلاقات الدولية؟
- كيف قامت إدارة جورج دبليو بوش بـ"أمننة" العراق ونظام صدام حسين بعد أحداث ١١ سبتمبر؟

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يركز على تحليل عملية الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م، من خلال ربطها بتحليل عناصر عملية "الأمننة" التي قامت بها إدارة جورج دبليو بوش في التحضير لهذه الحرب. كما يعتمد البحث على منهج دراسة الحالة case study approach من خلال التركيز على دراسة حالة الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م. ويعتبر منهج دراسة الحالة من أكثر الأطر البحثية شيوعاً واستخداماً، ويساعد الباحث على التركيز على حالة معينة ودراستها بشكل أكثر عمقاً ودقة (Burnham, Gilland Lutz,, Grant, & Layton-Henry, 2004)، كما يعتبر منهج دراسة الحالة مناسباً لدراسة ظاهرة الحروب وحالاتها بشكلٍ عام (Van Evera, 1997).

أما عن مصادر المعلومات التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث فإنها تشتمل على الكتب والتقارير والمقالات

والدراسات المنشورة ذات الصلة بموضوع البحث، والخطابات والتصريحات الرسمية التي أدلى بها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش وأعضاء فريقه في الإدارة وأهمهم نائب الرئيس ريتشارد تشيني، إضافة إلى المذكرات الرسمية التي نشرها بعض أعضاء إدارة جورج دبليو بوش مثل جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية CIA، وكذلك سكوت ماكيلان الوزير المسؤول عن الصحافة والإعلام press secretary. كما تمت الاستعانة ببعض التقارير التي أعدها الكونجرس الأمريكي ومراكز الدراسات والفكر.

الإطار النظري للبحث

فيما يتعلق بالإطار النظري للبحث، فإنه يعتمد بشكل رئيس على نظرية الأمننة في العلاقات الدولية.

نظرية الأمننة Securitization Theory في العلاقات الدولية

ترتبط نظرية الأمننة بمدرسة كوبنهاجن في العلاقات الدولية Copenhagen school، التي ظهرت في نهايات مرحلة الحرب الباردة، ونظرت لمفهوم الأمن security نظرة أكثر اتساعاً من النظرة التقليدية الضيقة التي كانت سائدة خلال فترة الحرب الباردة. وترى هذه المدرسة بأن مفهوم الأمن أكثر شمولاً من الجانب العسكري فقط، وأنه يشمل جوانب تهديد أخرى ليس بالضرورة أن تكون عسكرية بطبيعتها، وهذه المهددات يمكن أن تؤثر في المجتمعات أكثر من تأثيرها في الدولة، ما يعني بأن مدرسة كوبنهاجن في العلاقات الدولية وسعت أجندة الأمن لتشمل مفاهيم أخرى مثل الأمن الإنساني والأمن الإقليمي ومفاهيم الثقافة والهوية. وترى هذه المدرسة أن مفهوم الأمن يشمل خمسة مجالات رئيسية هي: العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية (Charrett, 2009; Eroukhmanoff, 2018).

كما وضعت مدرسة كوبنهاجن مفهوماً جديداً وهو "الأمننة" securitization الذي قُدِّم لأول مرة من قبل عالم السياسة الدانماركي Ole Waever في عام ١٩٨٩م. وقد طور Waever وآخرون مثل Barry Buzan المنهج البنائي لنظرية الأمننة (Charrett, 2009). ويرى Waever بأن الأمن يرتبط بشكل أكبر بفعل الخطاب speech act، بمعنى أن الأمن ليس بالضرورة أن يكون مادياً وحقيقياً، ولكن قد يكفي الوصف اللفظي لقضية معينة على أنها تمثل تهديداً أمنياً لتصبح كذلك بالفعل (Waever, 1995, p. 55).

ويعني مفهوم الأمننة إمكانية تحويل القضايا السياسية إلى قضايا أمنية security issues عن طريق خطوات رئيسية وهي أولاً: تحديد التهديد الموجود، وثانياً: العمل الطارئ للتعامل مع هذا التهديد أو "خطوة الأمننة" securitization step، وثالثاً: إقناع "الجمهور" audience أي الأطراف الداخلية والخارجية بتحركها الذي يمكن أن يكون خارج نطاق القانون. ونظرياً، فإن خطوة الأمننة متاحة لجميع الدول، ولكن عملياً، فإن القوة والقدرات ضرورية لتحقيق إستراتيجية الأمننة. كما يمكن للدولة استخدام خيارات أخرى ومنها التحالف مع قوى أخرى أو التسلح لردع الطرف الآخر. وتشتمل عملية "الأمننة" على عناصر رئيسية وهي: (١) فاعل الأمننة securitizing actor وتعني صناع القرار السياسي الذين يحولون قضية معينة إلى تهديد حقيقي للأمن القومي عن طريق "فعل الخطاب" speech act، (٢) التهديد الوجودي existential threat ويعني الخطر المحتمل على الأمن القومي، (٣) الجمهور audience ويعني المتلقي الذي يهدف صناع القرار السياسي إلى إقناعه وقبوله بوجود التهديد (Buzan, Waever, & de Wilde, 1998). وتعطي نظرية الأمننة المبرر للدولة لاستخدام كل الوسائل المتاحة لها للحفاظ على بقاءها وأمنها، وبذلك فهي تنقل سياسة الدولة من السياسة الاعتيادية إلى سياسة الطوارئ (Taureck, 2006). حيث إن الهدف الأساسي لنظرية الأمننة هو تشريع الإجراءات الاستثنائية التي تقوم بها الدولة (بوسنان، ٢٠١٨م).

وتفترض نظرية الأمننة بأن قضايا الأمن القومي ليس بالضرورة أن تكون مادية وحقيقية، ولكن يمكن أن تكون مصنوعة ومُشكّلة من قِبل السياسيين وصناع القرار. وطبقاً لنظرية الأمننة، فإن القضايا السياسية تتحول إلى قضايا أمنية تتطلب التعامل معها بصورة عاجلة عندما تُوصف لفظياً من جانب "فاعل الأمننة" بأنها "خطيرة" و"مهددة" و"طارئة". حيث إن الفكرة الرئيسية في عملية الأمننة هي أن هناك شيئاً

ما يُهدّد، ويجب حمايته على الفور وبشكل طارئ. وهذا التهديد ليس بالضرورة أن يكون تهديداً حقيقياً وملموساً، ولكن تم تشكيله ليكون تهديداً فعلياً عن طريق اللغة language. ولإقناع الجمهور باتخاذ إجراءات استثنائية، فإن "فاعل الأمننة" يجب عليه لفت نظر الجمهور والمبالغة بالتضخيم من حدة ومستوى التهديد. وتتميز لغة "خطاب الأمننة" بأنها "واضحة" ومباشرة. حيث إن مفهوم الأمننة لا يهتم بـ"لماذا" يتم "أمننة" قضية معينة، ولكن يركز على "كيف" يستعين "فاعل الأمننة" بلغة وخطاب مناسبين لإقناع الجمهور بوجود تهديد معين. لذلك فإن "فاعل الأمننة" يحتاج إلى ما يسمى functional actors "فواعل وظيفية" وأهمها وسائل الإعلام ومراكز الفكر think tanks للتأثير في الجمهور. ويقوم خطاب الأمننة على التقسيم بين "نحن" و"هم"، ويشتمل هذا الخطاب عادةً على ثلاثة عناصر وهي: تحديد وتعريف التهديد، وإعلان نقطة اللاعودة the point of no return، وتقديم الحلول للتعامل مع هذا التهديد (Eroukhmanoff, 2018).

إدارة جورج دبليو بوش و "أمننة" Securitizing نظام صدام حسين في العراق

في هذا الجزء من البحث سنقوم بتطبيق العناصر الثلاث لعملية "الأمننة" على حالة "الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م" وهي: "فاعل الأمننة" securitizing actor، وخطوة الأمننة securitizing step، و"فعل الخطاب" speech act، والجمهور audience.

١ – فاعل الأمننة Securitizing Actor

تعتبر إدارة الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش هي "فاعل الأمننة" الرئيس في حالة الحرب الأمريكية على العراق في عام ٢٠٠٣م. وتتكون هذه الإدارة من الرئيس جورج دبليو بوش الذي يعتبر الفاعل الرئيس في عملية الأمننة أثناء التحضير للحرب الأمريكية على العراق، إضافة إلى key actors اللاعبين الرئيسين الآخرين في عملية صنع واتخاذ قرار الحرب على العراق، وأهمهم نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، ومستشارة الأمن القومي والتي أصبحت بعد ذلك وزيرة للخارجية كونداليزا رايس، ومساعد وزير الدفاع بول وولفويتز.

٢ – خطوة الأمننة Securitizing Step وفعل الخطاب Speech Act

تفترض نظرية الأمننة بأن فاعل الأمننة، الذي هو في هذه الحالة (الرئيس بوش الابن وأعضاء فريقه)، بعد تحديد التهديد (العراق ونظام صدام حسين)، القيام بـ"خطوة الأمننة" عن طريق "فعل الخطاب" بهدف تحويل قضية "نظام صدام حسين في العراق" من قضية سياسية إلى قضية تهديد للأمن القومي الأمريكي، والسعي لإقناع "الجمهور" أو الرأي العام الأمريكي بخطورة وتهديد استمرار نظام صدام حسين في السلطة في العراق على مصالح وأمن المواطنين الأمريكيين.

واستخدم الرئيس بوش الابن وفريقه خطاباً لفظياً سعى إلى تكوين صورة ذهنية لدى الجمهور الأمريكي بأن نظام صدام حسين يشكل تهديداً حتمياً وطارئاً للأمن القومي الأمريكي. ولتسويق فكرة الحرب على العراق للرأي العام الأمريكي، اعتمدت إدارة بوش الابن على مبررات رئيسية أهمها، امتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل Weapons of Mass Destruction (WMD)، وعلاقة نظام صدام بتنظيم القاعدة المسؤول عن هجمات ١١ سبتمبر. وهذه المبررات تعتبر هي العناصر الرئيسية في عملية "الأمننة" خلال فترة التحضير للحرب على العراق.

ولكي يكون الغزو الأمريكي للعراق مقبولاً للرأي العام المحلي، سعت إدارة بوش الابن لإقناعه بأن العراق يشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي الأمريكي. وكانت الدلائل التي استخدمتها الإدارة الأمريكية، كما ذكرنا، تقوم على الادعاء بامتلاك نظام صدام لأسلحة الدمار الشامل، ومحاولة الربط بين نظام صدام وتنظيم القاعدة وأحداث ١١ سبتمبر.

ومع ذلك، فإن مدير وكالة المخابرات الأمريكية المركزية CIA الأسبق جورج تينيت أكد في مذكراته *At the Center of the Storm* (2007) بأنه لا يؤمن بأن أسلحة الدمار الشامل كانت هي السبب الرئيس وراء الحرب ضد العراق في عام ٢٠٠٣م، ولكنها "الوجه العام" فقط public face. وطبقاً لجورج تينيت فإن

تقييم CIA قبل الحرب على العراق كان يشير إلى أن نظام صدام لا يمتلك أسلحة دمار شامل (Tenet, 2007).

وطبقاً لتقرير لجنة Government Reform في مجلس النواب الأمريكي بعنوان "Iraq on the Record: The Bush administration's public statement on Iraq" في عام ٢٠٠٤م، فإن هناك خمسة لاعبين رئيسين في إدارة بوش الابن، وهم: الرئيس بوش الابن، ونائب الرئيس تشيني، ووزير الدفاع رامسفيلد، ووزير الخارجية كولن باول، ومستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس، قاموا بالإدلاء بـ٢٣٧ تصريحاً مضللاً misleading حول خطر وتهديد نظام صدام في العراق. وأشار التقرير إلى أنه خلال الفترة بين ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢م و١٧ يوليو ٢٠٠٣م، قدم الرئيس بوش الابن ٥٥ تصريحاً "مضللاً" حول التهديد الذي يمثله العراق. كما قدم نائب الرئيس تشيني ٥١ تصريحاً "زائفاً" حول خطر العراق خلال الفترة بين ١٧ مارس ٢٠٠٢م و٢٢ يناير ٢٠٠٤م (Committee on Government Reform, 2004).

وعلى سبيل المثال، قال الرئيس بوش الابن في خطابه "حالة الاتحاد" State of the Union في ٢٨ يناير ٢٠٠٣م بأن "الحكومة البريطانية علمت بأن صدام حسين اشترى مؤخراً كمية من اليورانيوم من جنوب أفريقيا" (Bush, January 2003). كما يقول بوش في خطابٍ آخر "نحن نعلم بأن نظام صدام قام بإنتاج الأسلحة الكيماوية التي تشتمل على غاز السارين والأعصاب. صدام لديه تجربة سابقة في استخدام هذه الأسلحة، وقام باستخدام هذه الأسلحة في هجومه على إيران، وعلى أكثر من ٥٠ قرية في بلده العراق، وهذه الهجمات باستخدام الأسلحة الكيماوية أدت إلى مقتل ٢٠ ألف شخص على الأقل، أي أكثر من قتلى ١١ سبتمبر بأكثر من ٦ مرات" (Bush, October 2002).

ويذكر ريتشارد كلارك مدير مكافحة الإرهاب الأسبق في إدارة بوش الابن في مذكراته (2004) *Against All Enemies* بأن نائب الرئيس تشيني تبنى نظرية أسلحة الدمار الشامل وبدأ بتسويقها للرأي العام (Clark, 2004). وفي مقابلته مع برنامج Meet the Press في ٨ سبتمبر ٢٠٠٢م قال تشيني "نحن نعرف بتأكيد مطلق أن صدام يسعى لامتلاك الأدوات اللازمة لتخصيب اليورانيوم لبناء السلاح النووي" (Cheney, 2002). كما يقول تشيني بأن "صدام يقوم بتطوير سلاحه النووي طوال الـ١٤ شهراً الماضية ليضم هذا السلاح إلى ترسانته من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية. ونحن نؤمن بأن الولايات المتحدة قد تكون هدفاً لهذه الأنشطة" (Top Bush Officials Push Case against Saddam, 2002).

بالإضافة إلى ما سبق، ذكرت كونداليزا رايس في مقابلة مع قناة تلفزيونية ألمانية في ٣١ يوليو ٢٠٠٣م "نحن لدينا معلومات استخباراتية مؤكدة قبل الذهاب للحرب ضد العراق، أنا في هذا العمل لأكثر من ٢٠ عاماً، وبعض المعلومات التي اطلعت عليها تؤكد بأنه سوف يكون في مقدور صدام حسين الحصول على السلاح النووي بنهاية هذا العقد، إذا تُرك دون مراقبة. هو لديه أسلحة كيمائية وبيولوجية، ويسعى لإعادة بناء برنامجه النووي، لا أحد يشك بأنه يملك أسلحة دمار شامل" (Rice, 2003). كما يقول وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد "بعد عملية عاصفة الصحراء وتحرير الكويت من الاحتلال العراقي في عام ١٩٩١م، استطعنا أن نعرف بأن صدام كان يحتاج تقريباً ستة أشهر للحصول على السلاح النووي. الآن يمكن القول أنه يحتاج من سنتين إلى ست سنوات، لا يمكن تحديد ذلك بدقة، بدون أن تكون على الأرض هناك، فإنه لا يمكن معرفة ذلك بدقة" (Top Bush Officials Push Case against Saddam, 2002).

وفي نفس السياق، يكشف تقرير صادر عن The Center for Public Integrity بعنوان "The War Card" بأن الرئيس بوش الابن وسبعة من أعضاء فريقه ومنهم تشيني ورامسفيلد ورايس، قدموا ٩٣٥ تصريحاً مزيفاً ومغلوطاً في حوالي ٥٣٢ مناسبة منفصلة من خطابات ومقابلات، حول تهديد أسلحة الدمار الشامل الذي يمثله نظام صدام في العراق. وقد ساهمت هذه التصريحات في التأثير في الرأي العام المحلي خلال فترة التحضير للحرب على العراق (Lewis and Reading-Smith, 2008).

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد سعت إدارة بوش الابن لتسويق فكرة الربط بين نظام صدام وتنظيم القاعدة. حيث يقول الرئيس بوش الابن في إحدى خطاباته: "نحن نعلم بأن العراق والقاعدة لديهما عدوٌّ مشترك – الولايات المتحدة الأمريكية. نحن نعلم بأن

العراق والقاعدة بينهما اتصال عالِ المستوى ويعود إلى عقود من الزمن. بعض القادة من تنظيم القاعدة فروا من أفغانستان وذهبوا إلى العراق. نحن علمنا بأن العراق قام بتدريب أعضاء القاعدة على صنع القنابل والغازات السامة المميتة. كما نعلم بأنه بعد ١١ سبتمبر، احتفل نظام صدام بهذه الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة" (Bush, October 2002).

وفي خطاب حالة الاتحاد في يناير ٢٠٠٣م، قال بوش الابن "تخيل بأن الـ١٩ انتحارياً الذين قاموا بهجمات ١١ سبتمبر عادوا ولكن هذه المرة بأسلحة وخطط أخرى، وهذه المرة يُسلَّحون بواسطة صدام حسين. سوف يكون يوم الرعب الذي لم نشهده من قبل. لذلك سوف نعمل كل ما بقوتنا لضمان عدم مجيء مثل هذا اليوم أبداً" (Bush, January 2003).

ويشير الصحفي الأمريكي بوب وودورد بأن نائب الرئيس تشيني كان مهووساً بفكرة ربط نظام صدام بالقاعدة على أساس الادعاء بأن محمد عطا، أحد منفذي هجوم ١١ سبتمبر، التقى في العاصمة التشيكية براغ مع أحد عناصر المخابرات العراقية حوالي أربع مرات (Woodward, 2006). كما أشار David Frum (2003) إلى أن إدارة بوش الابن ادعت وجود اتصالات بين رجل مخابرات عراقي وأحد أعضاء القاعدة في مدينة براغ. ويذكر تشيني بأن "لدى صدام علاقات قائمة مع تنظيم القاعدة، حيث قام بتدريب أعضاء القاعدة في مجالات صنع قنابل الغازات السامة" (Cheney, October 2003). وفي مقابلة مع برنامج Meet the Press في ٢٨ أغسطس ٢٠٠٣م، يذكر تشيني "لا أحد يقول بأنه توجد دلائل على أن صدام حسين قام بهجمات ١١ سبتمبر، ولكن لنكن واضحين جداً، هو لديه صلات مع تنظيم القاعدة" (Cheney, Meet the Press, 2003).

ومع ذلك، فقد أكد تقرير 9/11 Commission Report برئاسة Thomas Kean و Lee Hamilton، والذي كان عبارة عن لجنة لتقصي الحقائق حول أحداث ١١ سبتمبر بأنه لا توجد دلائل على وجود صلة بين نظام صدام وتنظيم القاعدة (The 9/11 Commission Report). وفي نفس السياق، يذكر تينيت مدير CIA الأسبق بأن "CIA وجدت بشكل مؤكد بأنه لا يوجد علاقة بين صدام و ١١ سبتمبر"، ويشير تينيت إلى أن أفراد الدائرة القريبة من الرئيس بوش وأهمهم تشيني ومساعد وزير الدفاع بول وولفويتز كانوا يدفعونه بشدة وبشكل مستمر لإيجاد أي علاقة بين نظام صدام والإرهاب (Tenet, 2007).

ويذكر Scott McClellan سكرتير الصحافة والإعلام الأسبق press secretary في إدارة بوش الابن في مذكراته *What Happened* (2008) بأن إدارة بوش الابن قامت بتنظيم حملة لتسويق الحرب على العراق بغرض تشكيل رأي عام أمريكي يكون مؤيداً لقرار الرئيس بغزو العراق. ويشير McClellan بأنه اشترك شخصياً في هذه الحملة التي احتوت على الكثير من "الخداع" من جانب اللاعبين الرئيسيين في إدارة بوش الابن. كما يؤكد بأن هذه الحملة بدأت في خريف ٢٠٠٢م، أي بعد شهور قليلة من اتخاذ الرئيس بوش لقرار مواجهة العراق (McClellan, 2008, p. 124).

ومن الواضح بأن الرئيس بوش الابن وفريقه سعوا إلى التهويل من خطر نظام صدام حسين على الأمن القومي الأمريكي، حيث استخدموا بكثرة وبشكل متكرر على مسامع المواطنين الأمريكيين كلمات مثل "أسلحة الدمار الشامل"، "استخدم أسلحة الدمار الشامل"، "قام بتدريب إرهابيين"، "قاتل"، "قام بغزو دول مجاورة"، وذلك لزيادة تخويف الشعب الأمريكي الذي كان لا يزال يعيش صدمة هجمات ١١ سبتمبر (Chang and Mehan, 2008). كما كان تصريح كونداليزا رايس الشهير حول "سحابة المشروم" مخيفاً للشعب الأمريكي بشكل صادم، حيث قالت بأنه "لا يمكننا الانتظار حتى يتحول دخان المسدسات إلى سحابة المشروم" (Top Bush Officials Push Case against Saddam, 2002)، في إشارة إلى السحابة التي تتكون بعد انفجار السلاح النووي.

وكما أشرنا آنفاً في الإطار النظري للدراسة بأن عملية الأمننة تحتوي على ثلاثة عناصر وهي:

١- تحديد التهديد: وهو ما سبق الإشارة إليه في تصريحات الرئيس بوش وأعضاء فريقه بأن نظام صدام في العراق يشكل تهديداً للأمن القومي الأمريكي.

٢- إعلان نقطة اللاعودة no return point: ويمكن تحديد هذه النقطة من خلال خطاب الرئيس بوش في أوهايو بقوله "لن أخاطر بحياة الأمريكيين بالثقة في صدام حسين" (Bush, October 2002). وبشكل أوضح في

خطابة الذي عُرف بـ"ultimatum speech" في ١٧ مارس ٢٠٠٣م، والذي قال فيه: "صدام حسين وأبناؤه يجب أن يغادروا العراق في غضون ٤٨ ساعة، وإذا لم يقوموا بذلك سيكون الحل العسكري الذي سوف نحدد توقيته" (Bush, March 2003)

٣- تقديم الحلول للتعامل مع التهديد: ويمكن تحديد هذه النقطة في خطاب الرئيس بوش في West Point في يونيو ٢٠٠٢م بقوله "إذا انتظرنا التهديد حتى يصبح مادياً، فإننا سوف ننتظر كثيراً، علينا أن ننقل المعركة إلى العدو، ونخرب خططه، ونواجه أسوأ التهديدات قبل ظهورها" (Bush, June 2002). وهي إستراتيجية "الحرب الوقائية" preventive war التي كانت إحدى العناصر الرئيسية فيما عُرف بـ"مبدأ بوش" The Bush Doctrine.

كما يقوم "خطاب الأمننة" على التقسيم بين "نحن" و"هم"، وهذا الخطاب التقسيمي كان واضحاً في خطابات الرئيس بوش الابن، مثل قوله: "نقول لكل دولة في أي منطقة، إما أن تكون معنا أو مع الإرهابيين" (Bush, 2001). وفكرة "أن ليس من معنا فهو ضدنا" تعتبر مفهوماً قديماً وتم استخدامه من قبل الأمريكيين خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي ضد حركة عدم الانحياز.

وسعى الرئيس بوش في خطاب "الأمننة" إلى استعارة التاريخ والتأثير في عواطف أفراد المجتمع الأمريكي من خلال وصفه العراق وإيران وكوريا الشمالية بـ"محور الشر" axis of evil في خطاب حالة الاتحاد في ٢٩ يناير ٢٠٠٢م (Bush, January 2002). ويذكر ديفيد فروم كاتب خطابات speechwriter الرئيس بوش الابن في كتابه *The Right Man*، وهو الذي صاغ عبارة "محور الشر"، بأنه قرأ خطاب الرئيس أيزنهاور بعد الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر في ١٩٤١م، وحاول أن يستوحي من ذلك الخطاب عبارة يصف بها الإرهاب والأطراف التي تدعمه بعد هجمات ١١ سبتمبر، فسعى إلى استعارة وصف محور القوى axis of powers الذي كان يضم ألمانيا وإيطاليا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية في مواجهة الدول الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وتطبيقه على العراق وإيران وكوريا الشمالية بوصفه لهذه الدول بـ"محور الشر". وقد كان الوصف الذي صاغه فروم في البداية "محور الكراهية" axis of hatred، ولكن الرئيس بوش استبدله بـ"محور الشر" (Frum, 2003). ومن المعلوم حجم التأثير الكبير لليمين المسيحي المتشدد على الرئيس بوش الابن نفسه منذ أن كان حاكماً لولاية تكساس، حيث تحتوي كلمة evil "الشر" على بعد ديني واضح، وهي كلمة تتكرر كثيراً في كتاب العهد القديم من الإنجيل، وتشير إلى سعي بوش إلى التأثير في المجتمع الأمريكي المحافظ والذي يمثل قاعدة شعبية عريضة للحزب الجمهوري.

وقد استفادت إدارة بوش الابن من مساهمة ما يسمى في نظرية الأمننة بـ"الفواعل الوظيفية" مثل وسائل الإعلام ومراكز الفكر Think Tanks، في تأثيرها على توجهات الرأي العام الأمريكي بما يخدم خطط الإدارة الأمريكية تجاه العراق. ومن أهم وسائل الإعلام الأمريكية التي أيدت إدارة بوش الابن وروجت لمبررات الحرب على العراق Fox News التي يملكها روبرت مردوخ. وفي استطلاع أجرته مؤسسة The Program on International Policy Attitudes (PIPA)، وُجد بأن معظم الأمريكيين الذين كانوا يعتقدون بأن نظام صدام حسين في العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وأن نظام صدام كان له دور في أحداث ١١ سبتمبر، وأن لديه صلات مع تنظيم القاعدة، كانوا يتابعون Fox News باستمرار ويستقون معلوماتهم من هذه المنصة الإعلامية (Kull, Ramsay, Subias, Lewis, & Warf, 2003).

وكانت Fox News خلال تغطيتها للحرب الأمريكية في العراق تضع العلم الأمريكي في زاوية الشاشة للتأثير في الجمهور الأمريكي، كما كانت تُطلق على هذه الحرب نفس تسمية وزارة الدفاع الأمريكية لها وهي "حرب تحرير العراق"، كما كانت تستخدم كذلك وصف "الحرب على الإرهاب". وعندما انتُقدت Fox لاتخاذها موقفاً منحازاً للحرب الأمريكية على العراق، قال مراسلها نيل كافاتو على الهواء مباشرة بأنه "يؤيد هذه الحرب" (Kull, 2004). ومن أهم برامج القناة التي روجت للحرب ضد العراق Fox News Sunday الذي يقدمه Chris Wallace، و Special Report الذي يقدمه Bret Baier.

كما لعبت مراكز دراسات تابعة للمحافظين الجدد مثل (AEI) American Enterprise Institute دوراً مهماً في دعم سياسة إدارة

بوش الابن والترويج للحرب الأمريكية على العراق (Woodward, 2006). وكان هذا المركز AEI يستخدم تسمية "عملية تحرير العراق" في تقاريره ودراساته المنشورة مثل تقرير Thomas Donnelly (2003) بعنوان: The Meaning of Operation Iraqi Freedom، أو Operation Iraqi Freedom: A Strategic Assessment (2004). وفي هذه الدراسات يسعى المركز إلى الدفاع عن الحرب الأمريكية في العراق وتبريرها بحجة الدفاع عن الأمن القومي الأمريكي ونشر الديموقراطية في منطقة الشرق الأوسط. كما قدم مركز AEI المئات من المقالات التي تدعم سياسة إدارة بوش الابن في العراق مثل مقالة William Schneider (2003) بعنوان This is Bush's War.

كما أن هناك مركز دراسات آخر قريب من المحافظين الجدد وهو Heritage Foundation قام بنشر الكثير من المقالات والدراسات التي تحرض إدارة جورج دبليو بوش على الحرب ضد العراق وإسقاط نظام صدام حسين، ومنها مقالة James Phillip (2002) بعنوان Don't Buy Saddam's Offer ودعا فيها إلى عدم قبول العرض العراقي حينها بعودة المفتشين الدوليين، والسعي لإسقاط نظام صدام باستخدام القوة العسكرية. وفي مقالة أخرى له بعنوان Don't Let Iraq Get Away With It (2003) يدعو عدم ترك العراق ينجو من الحرب. وفي نفس السياق يقدم Larry Wortzel (2002) مقالته بعنوان Let's Not to be Saddam's Shopping Mall وفيها يدعو إلى ضرورة عدم التراخي مع صدام حسين وسرعة التحرك عسكرياً لإسقاط نظامه.

وكان المحافظون الجدد قد اجتمعوا في عام ١٩٩٧م في منظمة أُطلق عليها Project for the New American Century (PNAC)، وقامت هذه المجموعة بتوقيع رسالة في ٢٦ يناير ١٩٩٨م أُرسلت إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وتدعو إلى إسقاط نظام صدام حسين. وكان من بين هذه المجموعة بول وولفويتز وريتشارد بيرل وإليوت أبرامز وزالاماي خليل زاده وسكووتر ليبي، وكل هؤلاء تقلدوا فيما بعد مناصب رسمية في إدارة جورج دبليو بوش التي قادت الحرب الأمريكية لإسقاط نظام صدام في العراق.

٣- الجمهور Audience: المجتمع الأمريكي

يمكن القول بأن الرئيس بوش الابن وفريقه (فاعل الأمننة) نجحوا في القيام بعملية (أمننة) نظام صدام في العراق بالاعتماد على (فعل خطاب) لفظي اعتمد على فكرة تهويل خطر وتهديد نظام صدام على الأمن القومي الأمريكي وأرواح المواطنين الأمريكيين، من خلال الاعتماد على تسويق فكرتي (تطوير نظام صدام لأسلحة الدمار الشامل)، و(علاقة نظام صدام بتنظيم القاعدة).

وقد اكتملت عملية "أمننة" نظام صدام في العراق من خلال حصول إدارة بوش الابن على تأييد الرأي العام الأمريكي للحرب ضد العراق. حيث لم تنخفض نسبة تأييد الحرب في استطلاعات الرأي العام الأمريكي عن ٥٢٪. وفي شهر مارس ٢٠٠٣م وهو موعد الحرب الامريكية على العراق ارتفعت نسبة تأييد الحرب بين أفراد الشعب الأمريكي إلى ٦٤٪ (Western, 2005).

كما كشف استطلاع أجرته مؤسسة Gallup في ٢٢-٢٣ مارس ٢٠٠٣م بأن نسبة ٧٢٪ من المجتمع الأمريكي تؤيد الحرب الأمريكية على العراق. وفي الاستطلاع الذي سبقه بأسبوع كانت نسبة ٧٦٪ من المجتمع الأمريكي تؤيد هذه الحرب (Newport, 2003). وهي نسب تعتبر مرتفعة في تأييد قرار إدارة بوش الابن غزو العراق. وهذه النتيجة تعتبر محصلة لعملية "أمننة" منظمة وممنهجة قامت بها إدارة بوش الابن خلال فترة التحضير لهذه الحرب. وفي استطلاع للرأي العام أجرته مؤسسة The Program on International Policy Attitudes (PIPA) في شهر يناير ٢٠٠٣م، وُجد بأن ٦٨٪ من الأمريكيين يعتقدون بأن العراق كان له دور في أحداث ١١ سبتمبر (Kull et al., 2003).

وهناك العديد من مراكز الدراسات والصحف والدوريات المؤيدة للوبي الإسرائيلي والمحافظين الجدد في الولايات المتحدة مثل The Heritage Foundation، وThe Brookings Institute، و The Weekly Standard، والتي قامت بدور مؤثر في دعم سياسة إدارة بوش الابن تجاه العراق والترويج للحرب الأمريكية على العراق (Mearsheimer and Walt, 2008).

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تفسير الحرب الأمريكية على العراق وإسقاط نظام صدام حسين في عام ٢٠٠٣م بالاعتماد على نظرية "الأمننة" في العلاقات الدولية. وقام البحث بتطبيق العناصر الرئيسية الثلاثة في نظرية الأمننة (فاعل الأمننة – فعل الخطاب – الجمهور) على حالة الحرب الأمريكية على العراق. وتوصل هذا البحث إلى نتيجة مفادها أن إدارة جورج دبليو بوش نجحت في عملية "أمننة" العراق ونظام صدام حسين من خلال "خطوة الأمننة" التي اعتمدت على "فعل الخطاب" اللفظي الذي نجح في تحويل قضية العراق ونظام صدام حسين من قضية سياسية إلى قضية تهديد للأمن القومي الأمريكي تحتاج إلى التعامل الطارئ معها. وقد بُني هذا الخطاب اللفظي لإدارة بوش الابن على مبررات رئيسية وهي: امتلاك نظام صدام حسين لأسلحة الدمار الشامل، وعلاقته بتنظيم القاعدة. وقد تمثل نجاح إدارة بوش الابن في عملية "أمننة" العراق ونظام صدام في قدرتها على خداع وإقناع "الجمهور" – الرأي العام الأمريكي – والحصول على تأييده وقبوله لمبررات غزو العراق في عام ٢٠٠٣م، والتي ثبت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عدم صحتها.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

بوسنان، سفيان (٢٠١٨م). الهجرة غير الشرعية والاتحاد الأوروبي: قراءة في أمننة الظاهرة. *مجلة العلوم السياسية*، ع (٥٥)، جامعة بغداد، ٢٠٥-٢٢٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Burnham, P., Gilland Lutz, K., Grant, W., & Layton-Henry, Z. (2004). *Research Methods in Politics*. Palgrave Macmilan.

Bush, G. W. (2001). Presidential address to Congress. September 21, 2001, available at: https://www.youtube.com/watch?v=zB145D3XJzE

Bush, G. W. (2002). State of the Union address. January 29, 2002, accessed on June 6, 2020 from https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2002/01/20020129-11.html

Bush, G. W. (2002). *President Bush Delivers Graduation Speech at West Point*. June 1, 2002, the White House. Available at: http://www.whitehouse.gov/news/releases/2002/06

Bush, G. W. (2002). The Iraqi threat, Cincinnati, Ohio, October 2002, retrieved June 3, 2020 from http://presidentialrhetoric.com/speeches/10.7.02.html

Bush, G. W. (2003). State of the Union address, January 28, 2003, accessed on June 6, 2020 from https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2002/01/20020129-11.html

Bush, G. W. (2003). A transcript of George Bush's war ultimatum speech from the Cross Hall in the White House, March 17, 2003. Available at: https://www.theguardian.com/world/2003/mar/18/usa.iraq

Buzan, B., Waever, O., & de Wilde, J. (1998). *Security: A New Framework for Analysis*. UK: Lynne Rienner Publisher.

Charrett, C. (2009). A critical application of securtization theory: Overcoming the normative dilemma of writing security. *International Catalan Institute for Peace*, 1-48.

Chang, G., & Mehan, H. (2008). Why we must attack Iraq: Bush's reasoning practices and argumentation system. *Discourse and Society*, *19*(4), 453-482.

Cheney, R. (2002). *Interview with Vice President Dick Cheney*. NBC, Meet the Press, September 8, 2002, available at: www.mtholyoke.edu

Cheney, R. (2003). *Interview with Vice President Dick Cheney*. NBC, Meet the Press, March 16, 2003, available at: www.whitehouse.gov

Cheney, R. (2003). Remarks by the Vice President at the James A. Baker III, Institute for Public Policy, October 17, 2003. Available at: www.whitehouse.gov

Clark, R. (2004). *Against All Enemies*. Free Press.

Committee on Government Reform (2005). *Iraq on the Record: The Bush Administration's Public Statements on Iraq*. Available at: http://www.house.gov/waxman/issues

Donnelly, T. (2003). The meaning of operation Iraqi Freedom. *American Enterprise Institute,* June 1, 2003.

Eroukhmanoff, C. (2018). Securitization theory: An introduction. *E-International Relations Students*, Jan 14, 2018, accessed on June 4, 2020 from https://www.e-ir.info/2018/01/14/securitisation-theory-an-introduction/

Frum, D. (2003). *The Right Man: An Inside Account of the Bush White House*. New York: Random House Trade Paperbacks.

Kull, S. (2004). The Press and misperceptions about the Iraq War. Nieman Reports, 2004. Available at: https://niemanreports.org/articles/the-press-and-public-misperceptions-about-the-iraq-war/

Kull, S., Ramsay, C., Subias, S., Lewis, E., & War, P. (2003). Misperceptions, the media, and the Iraq War. The PIPA/Knowledge Networks Poll,

Taureck, R. (2006). Securitization theory and securitization studies. *Journal of International Relations and Development*, (9), 53-61.

Tenet, G. (2007). *At the Center of the Storm: My Years at the CIA*. HarperCollins Publishers.

The 9/11 Commission Report. W. W. Norton & Company, New York, London.

Top Bush officials push case against Saddam, *CNN. Inside politics*, September 8, 2002, accessed on June 5, 2002 from https://edition.cnn.com/2002/ALLPOLITICS/09/08/iraq.debate/

Van Evera, S. (1997). *Guide to Methods for Students of Political Science*. Cornell University Press.

Waever, O. (Winter 1995). Identity, integration and security: Solving the sovereignty puzzle in EU studies. *Journal of International Affairs*, *48*(2), 389-431.

Western, J. (2005). The war over Iraq: Selling war to the American public. *Security Studies*, *14*(1), 106-139.

Woodward, B. (2006). *State of Denial: Bush at War III*. Simon & Schuster UK Ltd.

Wortzel, L. M. (2002). Let's not be Saddam's shopping mall. *The Heritage Foundation*, October 8, 2002.

October 2, 2003. Available at: https://web.stanford.edu/class/comm1a/readings/kull-misperceptions.pdf

Lewis, C., & Reading-Smith, M. (2008). *The War Card*. The Center for Public Integrity, available at: www.thecenterforpublicintegrity.org

McClellan, S. (2008). *What Happened*. Public Affairs.

Mearsheimer, J., & Walt, S. (2008). *The Israeli Lobby and US Foreign Policy*. Farrar, Strauss and Giroux.

Newport, F. (2003). Seventy-two percent of Americans support war against Iraq. *Gallup*, March 24, 2003, accessed on June 5, 2020 from https://news.gallup.com/poll/8038/seventytwo-percent-americans-support-war-against-iraq.aspx

Operation Iraqi Freedom: A strategic assessment (2004). *American Enterprise Institute*, July 23, 2004.

Phillips, J. (2002). Don't buy Saddam's offer. *The Heritage Foundation*, 26 September 2002.

Phillips, J. (2003). Don't let Iraq get away with it. *The Heritage Foundation*, February 14, 2003.

Rice, C. (2003). *Condoleezza Rice Interview with ZDF*. German Television, July 31, 2003, available at: www.whitehouse.gov

Schneider, W. (2003). This is Bush's war. *American Enterprise Institute*, March 29, 2003.